وغيره ولا يسمح للكهنة بان يناولوا الاولاد القربان المقدس الّا ان يكونوا بلغوا من العمر سبع سنوات ويتناولوا في عيد الفصح فقط . واما بعد بلوغهم الثمان سنين فيُسمح لهم بالتناول المتداوم وهذا موقوف على فطنة معلمي الاعتراف واما الذين يفوت عليهم عيد الفصح بلا تناول الاسرار المقدسة فلينبَّهوا اوّل وثاني وثالث مرّة من الكاهن وان كان بعد التنبيه لم يذعنوا ويتقدّموا لقبول الاسرار فليُعلم بهم الاسقف ليطلق عليهم القصاص ولذلك منذ احد الشعانين فلينبِّه الرعاة جميعًا الشعب المسيحي بحفظ الوصيّة الكنائسيّة بالاعتراف والتناول في عيد الفصح وان التحديد المذكور هو من الشعانين الى احد توما ولكي لا يتوهط المسيحيّون بالقصاص المفروض من الكنيسة فليُفتحوا مدّةً عن ضرورةٍ لاولئك الذين يتخلّفون مع التنبيه المتداوم والتفسيح المذكور يكون الى خميس الصعود وبالفسحة الى احد العنصرة . . .

اليوم السادس في ٩ من تشرين الأول

الجلسة التاسعة في سرّ مسحة المرضى

انهُ اذا كانت توجد اختلافات كثيرة في الرتبة المستعملة في خدمة سر المسحة المقدّس فلاجل رفع هذا الخلل قد حتم مجمعنا المقدّس انهُ من الآن فصاعدًا لا تستعمل كهنتنا الروميون في جميع الابرشيّات في سرّ المسحة الّا الترتيب المسلَّم من زمان السعيد الذكر البطريرك كيرلّس الخوّر هنا ومنهُ ترسل نسخ الى كل مكان ويتمّ هذا السرّ بالاحترام الواجب وايقاد الشموع وباقي الاحتفال (لهُ تابع)

قيمة الحياة

لحضرة الخوري الفاضل عنوئيل فضل (تتمّة)

قال علماء الوضعيّين انّ ضابط الافعال وقاعدة الآداب هو خير اللفيف او الخير العام . امّا الخير العام فهو عبارة عن صحة الجمعيّة وحصولها على جميع وسائل المعاش والطمأنينة فينتج من ذلك انهُ متى وُجدت الجمعيّة في صحّتها الكاملة وتمتّعت بالأمنيّة ورتعت في الخصب والنعمة كانت هي ادبيّة واصبح اعضاؤها ادباء.

ولكن مَن يسلّم بهذا القول او مَن لا يرى به خطأ جسيماً وحجّةً لكل لئيم لارتكاب افظع الآثام بدون أن يُقتصّ منهُ او يقع عليهِ اقلّ لوم؟ ان مدناً باسرها وشعوباً شتّى قد توصّلوا الى هذا الخير المطلوب من الوضعيين وبلغوا اقصى التمدّن المادّي ولم يمنع ذلك آدابهم من ان تكون متراخية واخلاقهم مشحونة بالغشّ والفساد وحسبنا شاهداً سادوم وعامورة وضواحيها. فاي ربح لم تكتسبهُ سكّان هذه المدن واي رفاه وأية افراح لم ينالوا؟ ومع ذلك ما أبعد ما كانوا عن الآداب المستقيمة! والشعب الروماني ذاتهُ ما توغّل في الشرور والآثام وأطاع اميالهُ واهواءهُ الّا لمّا كثر الرزق بين يديهِ وامتدّت سطوتهُ وشاع صيتهُ ومجدهُ وسكتت الارض تحت نظرهِ. فكيف والحالة هذه يمكن ان يكون فائدةً للآداب امرٌ ليس من احد شروط استحصالهِ اتّقاؤها لا بل كان كل وقت حيث لم تكن ورسخ قدماً حيث وهنت

ولسنا نجهل وجود افعال معاكسة لخير الجمعيّة اي صحّتها كالافعال التي ينجم عنها مثلاً تفشّي الوباء او سلب القوم راحتهُ وغير ذلك فهذه الافعال شرّها ظاهر ونواميس الآداب الاجتماعيّة الوضعيّة تكفي لردعها ولكن كم من الافعال الرديئة التي لا تُحدث اقلّ ضرر في الخير العام فهل امتناع ضررها يا ترى يمحو قباحتها وسماجتها؟ اما قيل ان الإغواء امرٌ قبيح وفعل رديٌ لانهُ يُوقع اضراراً بمن هم ضحاياه ولكن لنفترض انهم سلّموا بهِ ورضوا عنهُ حتّى ارتفع الضرر فهل يبطل ان يكون الاغواء قبيحاً ورديّاً. واذا كانت الرذيلة في بعض الافراد دون أن يتوصّل اذاها الى الأمة او تؤثر في شيء الخير العام ألا تعود تحسب رذيلة وهل لا يجب منعها واجتنابها؟ فحسب قول الوضعيين كما اوردناهُ سابقاً ليست الرذيلة حينئذٍ بمنافية للآداب العامّة ولكن ألا تنافي الآداب الشخصيّة؟ ولا يجهل الوضعيّون انّ من الآداب ما هي عموميّة ومنها ما هي خصوصيّة وان هذين النوعين هما على السواء ضروريّان ويجب القول بوجوبهما لانهُ لا يكفي المرء رفع الاذى فقط عن الهيئة الاجتماعيّة حتّى يُعدّ اديباً انما يلزمهُ ايضاً اقتناء الفضائل التي من شأنها ان تجمّل النفس وتجلّلها بلباسها البهي. ولقد اذعن بعض علماء الوضعيين الى هذا الحكم. فيقول تندال انهُ « لا يزال يعتبر كل ما هو شريف وعالٍ في اعتقادات صاحبهِ ». وجورج اليو « لا ينفكّ يحترم ويحبّ جمال القداسة ويكرهه ويمقت الاثم ». فوالحالة هذه ان كانت الآداب الشخصيّة واجبة فكيف يلزمنا ان نحافظ

عليها وكيف يمكننا ان نجتنب شر ما يعاكسها من الرذائل التي لا تتضرّ بالاغنياء ولكنها تضرّ بالفرد وبآدابه . أيقولنا انها تجرّ مرتكبيها الى الامراض والاسقام ؟ فان صحّ وقوع هذه الخشية في القارب فيكون الفضل لهذه الخشية في التنكب عن الرذيلة وليس للخير العام . غير ان هذه الخافة لا تؤثر دائماً لانهُ سهل لحاشاة كل سقم بالدراية والفطنة فيتوقّى بعد ذلك الفاسد الاخلاق ان يبقى فاسداً . فاذاً ليس لخير الجمعيّة على كل انواعه اقلّ تأثير على الفرد وبالتالي لا يصلح ان يكون قاعدةً للآداب الفرديّة اذ لا يردع فساداً ولا يمنع شراً والجمعيّة لا تكون اديبةً الّا متى كانت افرادها اديبة عاقدين الخناصر على التعاضد والتعاون والتكاتف في الشغل والعمل حفظاً لخير الجمعيّة وترقيةً للانسانيّة

وما قيل عن التعاطف الطبيعي والنسب اليهِ قوّةً تدفعنا لمحبّة الغير وتضع في نفوسنا الرغبة لإسعافهِ واسعادهِ حتى ايثار مصلحتهِ على مصلحتنا وحظّهِ على حظّنا فهذا لا خلاف فيهِ غير اننا نرى الوضعيين قد بالغوا في هذا الميل وغالوا في قوّتهِ ونسبوا اليهِ مقدرةً ليست بهِ . نعم يوجد فينا التعاطف الطبيعي وعلى ذلك امثلة كثيرة تشهد لاصحابها بالشهامة لكنّهُ يوجد ايضاً فينا حبّ الذات او الانانيّة وهو بالانسان امكن وامتن مما سواه . امّا التعاطف الطبيعي المؤدي بنا الى حبّ الغير وخدمتهِ فيجب الّا يسبّب لنا ازعاجاً كبيراً او يؤول بنا الى غاية شريفة تناقض الغاية التي يعرضها علينا الوضعيّون وهي متوقفة على اكل وشرب وراحة وهذا هو خيرهم الاكبر . لا وأيم الحق ما هذه الغاية بجديرة ان تدب فينا روح الحميّة والحماسة

اذن تلك الطاعة للشرائع والنواميس الآمرة بخدمة الصالح العام لمجرّد الصالح العام هي غير ممكنة ولا يستطيع هذا الصالح ان يبعث الانسان على تحسين سيرتهِ وحفظ آدابهِ . لانّ تلك النعماء التي وعدنا بها الوضعيون لا تستحق كل هذا الاهتمام

الفضيلة لمجرّد الفضيلة

شعر البعض من الوضعيين بضعف نواميسهم الاجتماعيّة وعجزها عن تحديد ضابط للآداب ولذلك لجأوا الى غير امر طلباً لسدّ هذا الخلل فلحظوا انّ من الناس مَن خدموا الصدق والاستقامة بنيّة مجرّدة وكانوا امثال العفاف والطهر غير طامعين بمكافأة او ثواب فظنّوا بعد ذلك انهم وجدوا ضالّتهم المنشودة وقالوا فيما بينهم : لِما لا تكون

الفضيلة غاية اعمالنا ؟ أما في نفس الفضيلة ما هو كافٍ وحدهُ لحبها وإيثارها ولا لذة اعظم من التي في الفضيلة ومن الفضيلة فهي البهاء والعزاء والحسن بالذات تُفرح قلب محبها وتُجلببهُ بلباس الكمال وتحلُّهُ بارض السلام . فلتكن الفضيلة سعادتنا ونحن الغائصون . هذا ما زعموا

لا ننكر ان البعض من الناس خدموا الفضيلة من دون غرض من الاغراض ولكنَّهم لم يعملوا ما عملوهُ بدافع طبيعتهم البشريَّة كما فهمها الوضعيون اي مجرَّدين عن الغاية التي قصدها الله في ابداعهِ وخلقهِ لنا . فنحن نعتقد انهُ ان كان للانسان عواطف نبيلة وشعائر سامية تؤمّ بهِ الى العلويَّات وتنكبهُ عن السفليَّات تريهِ البطل بطلًا والحقّ حقًّا بغنًى عن الشرائع الدينيَّة والنواميس المدنيَّة فما ذاك الَّا لانَّ الله فرض لنا غايةً من عندهِ ورقم على الواح قلوبنا ناموساً طبيعيًّا يجب علينا اتباعهُ ثم منَّ علينا بالوحي على يد انبيائهِ واصفيائهِ اخيرًا اعطانا التعاليم المسيحيَّة التي جدَّدت الانسان واولدتهُ ميلادًا ثانيًا

وعليهِ ما احرانا ان ننسب للناموس الطبيعي ولفاعيل الدين تجرّدنا في خدمة الفضيلة وانتصارها للحقيقة وعلى هذه الاصول مبنى تهذيب الاخلاق وحبّ القريب والتاريخ شاهدٌ على ذلك لا يكذب فليطالعهُ من يريد . ولعمري ان الحياة قد اتصبغت بالدين وهذه الصبغة مهما عمل الوضعيُّون او غيرهم لا تمحى بل يبقى اثرها ثابتًا ولذلك وان خال للبعض انهم فيما يعملون من الافعال الحسنة لم يكونوا مندفعين من الدين والناموس الطبيعي فهؤلاء لو دقّقوا وسبروا اصل هذه الاحساسات الشريفة لعلموا ان الدين هو الذي جدا بهم الى ما حدا . لأنَّ لا شيء في الحياة الَّا وقد امتزج بالدين فهو قد جرى في عروقنا ومشاربنا وافكارنا مجرى الدم والحياة حتَّى اذا شئنا ان نذكر شاهدًا على ما لا اثر للدين فيهِ لا نتمكَّن

فالحالة هذه نقدر ان نقول انهُ من المحال وجود كفرة حقيقيين طالما كل شيء واحساسات البشريَّة واعمالها قد انجبلت بالدين

ولزيادة الاقناع فلنأخذ مثلًا الغاية الادبيَّة ولنُجرِ عليها الفحص المدقَّق ولننظر بعد ان نجرّدها من كل ما تستمدُّهُ من الدين اذا كان اعتبار واتباع الفضيلة ممكنًا . اعلم انَّ للغاية الادبيَّة ثلاثة شروط او ثلاث خاصَّات فشرط او خاصَّة تتعلَّق بالفاعل

وشرطان او خاصّتان تتعلّقان بالغاية وهي ارادة الانسان واطلاق الشريعة وخطارة العقبى فبارادة الانسان نفهم صفة النفس الباطنيّة التي بها المرء يدوي ويريد العمل وهنا يجب التنبيه ان ادبيّة الفعل تتوقّف على مجرّد الارادة على العمل الخارجي حتّى اذا رمتُ شيئاً ولم اتوفّق اليه لان مانعاً من الموانع حال دون مراميّ فلا يخسر فعلي من ادبيّته شيئاً . قال المتنبّي:

وإطراقُ طرفِ العين ليس بناقصٍ اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطرِقِ

وباطلاق الشريعة نفهم عموميّتها بحيث يستحيل علينا الافكار بوجود شريعة اخرى مخالفة ومناقضة لها فان وُجد على فرض من يهزأ بهذه الشريعة ويستخفّ باوامرها يجب ان نعتقد به الكفر والضلال

وبخطارة العاقبة نفهم اخيراً ما يترتّب على افعالنا وافكارنا بالنظر الى الشريعة والواجب من عظيم الثواب وشديد العقاب

فاذا نقص شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة تزعزعت اركان الآداب ولا يعود من ثمّ هناك حق لاي مشترع كان بان يأمر بحسن السلوك وينهه ويرشد الى الاستقامة كما ولا انّهُ يُحدث احداً بمسئوليّة افعاله . اذن من يعتقد ويسلّم بلزوم الآداب يجب عليه ان يسلّم بهذه الامور الثلاثة ويقرّ بها في الغاية الادبيّة لانهُ يقرّ بوجود الله وبخلود النفس . فالله شريعتهُ والله نصيبهُ والله دَيّانهُ . وبما ان الله لا يطيق النظر الى شبه ظلّ الاثم ويفحص اعماق القلوب والكلى فانهُ يتجنّب كل مخالفة للنظام فكريّة كانت او فعليّة ويصبر على نقاوة ضميره ويجهد النفس في تقويم سُبله لئلا يُحرَم غايتهُ اي امتلاك الله

فلننظر الآن اذا كان الفعل الادبي ممكناً عند الوضعيين . انهم يدّعون فهم الفعل الادبي كما نفهمهُ ويقرّون بشروط الغاية الادبيّة الثلاثة التي اوردناها وكما اوردناها ولكن هل مبادئهم تخوّلهم هذا الدّعى ؟ فنحن قد استندنا على حقيقة خلود النفس وعلى وجود الله واثبتنا خطارة عقبى افعالنا وافكارنا ونادينا باطلاق الشريعة . امّا هم فينكرون هذه الحقائق فاصبحت الاعمال البشريّة منحبسة ضمن حدود الزمان والمكان ولا علاقة لها مع تلك القوّة غير المتناهية الدافعة الكون الى مجراه . ولمّا تحضر منيّة المرء فكلّما يقدر عليه الوضعيون هو احياء ذكره في خلدهم ولكن اذا مات معاصرو هذا الرجل او انقرضت البشريّة فانهُ يتلاشى واعمالهُ وذكرهُ تلاشياً تاماً فالاضمحلال كامل

فكأنَّ البشريَّة لم توجد، ولم تكن مهما كان المجد الذي ادركهُ والقباحات التي قد ارتكبها . الفضائل والرذائل الملذات والاوجاع كل ذلك لا يبقى لهُ اقلّ اثر فقد بادت كما يبيد الصوت في خلاء صحراء بعيدة المفاوز . فان كانت هذه الحالة حالتنا ظهر جليًّا انهُ ليس للفعل الادبي اهميَّة عظيمة

ولربَّ وضعيّ يقول : ما يمنعني عن التزام خطَّة الآداب وان يكن تحتي باللذة وجيزًا فهل يا ترى قصر مدَّة السعادة هو مانع للذَّة لا بل لي بذلك حجَّة اقوى التنعُّم بهذا النردوس قبل انقراضهِ

نعمَ القول ولكنَّنا نسأل كل وضعيّ ان يجيبنا اذا كان الناس قاطبةً يسلّمون بكون السعادة تقوم بالعمل بموجب الخطَّة التي يشاؤونها ويجبّ الشرائع الخلقيَّة التي يرونها ؟ كلَّا ما الكل مُجمعون على ذلك . ثم وبا انهُ لا اتفاقًا عموميًّا على هذه الناموس نسأل ثانيةً أيَّة واسطة ممكن على الوضعيين اتخاذها لاثبات مدَّعاهم واقناع المرتابين على اعتناق مذهبهم . فلا فترضنَّ اني وضعت سعادتي ولذَّتي في الصدق وغيري وضع سعادتهُ في الاحتيال وكلانا من الوضعيين فاسأل عمَّا اعملهُ لابرهن لصاحبي عن افضليَّة حالي على حالهِ وكيف ابيّن لهُ غلطهُ واظهر هدايَ ؟ فلا ارى لعمري طريقة لذلك اذ كلانا ملتذّ ولذَّتنا متساوية . ولكن لو كنتُ معتقدًا بالله اقول لنفسي ان افراح صديقي تتحوَّل يومًا ما الى احزان وسروره الى يأس . وطالما لا حياة الَّا الدنيا فلا اقدر اقول شيئًا سوى ان صاحبي اختار الخط الذي يوافقهُ وانهُ ما زال حيا لا احد يستطيع على سلبهِ منهُ . فعلى هذه الصفة قد انقطعت سنَّة الآداب ان تكون مطلقة لانها تغيَّرت ممَّا كان يقررها ويثبتها واما شرائع فئة من الناس تكونهم فقط من الناس فلا تسلّط لها عليَّ

قد اتَّضح الآن ضعف مزاعم الوضعيين وبعد مبادئهم عن استطاعة تشييد الآداب على اساس آخر غير الدين وبالتالي عن اثبات قيمة الحياة وقداستها وخطرها طالما لا يدينون بالله ولا يعتقدون بالآخرة . ولو كانت حقيقة وجود الله نظريَّة فقط لامكن الكثيرين ان يضربوا عليها صفحًا لكنَّ هذا الوجود الشريف هو ايضًا حقيقة لازمة يحتاج اليها النظام الادبي فبدونها لا ركن للآداب ولا ضابط ولا التزام ولا خير ولا شرّ ولا حق ولا واجب . والحال ان البشريَّة تستدعي الآداب ولا غنى لها عنها

وان الرب قابض على ناصية البشر حتى اذا كفروا بهِ وبنعمتهِ لا يكفرون بدون ان ينالوا جزاء كفرانهم آجلًا او عاجلًا

عبدالله بن الفضل الانطاكي

نبذة للابوين قسطنطين باشا ب. م. ولويس شيخو اليسوعيّ

٢ آثار عبدالله بن الفضل (تتمّة)

﴿ تآليفهُ ﴾ نسرد في هذا القسم اسماء الكتب التي صنّفها عبدالله بن الفضل بتمامها واخرجها الى كمالها ولم يعتمد في وضعها الّا على معارفهِ الخاصّة والتآليف المسيحيّة العموميّة فجارى بها قدماء النصارى واستحقّ بان يُنظم اسمهُ في سلك المصنّفين الكنسيين

١ (كتاب بهجة المؤمن) نفتتح جدول تآليف الشمّاس ابن الفضل الانطاكي بهذا الكتاب الذي هو من اطيب آثار النصارى الملكيين. ومنهُ الى اليوم عدّة نسخ صالحة متقنة منها نسخة في المكتبة الواتيكانيّة تحت العدد ٦٤١ صفحاتها ٢٥١. ومنها نسخة ثانية في مكتبة الدار الاستفيّة في حلب. ونسخة ثالثة في المكتبة البُدليّة المنوطة بكليّة اكسفرد (Bibl. Bodl. *Nicoll*, No. XXII) تاريخ وضعها سنة ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) نسخها «ثلجة الكاتب اخو المطران ملاتيوس مطران حلب سنة ١٠٣٢ للهجرة (١٦٢٢م). وهذا الكتاب تأليف لاهوتي واسع في اربعة اقسام ضمّنها مسائل شرعيّة وموضوعات فلسفيّة. ولكل قسم فصول عديدة فالقسم الاوّل يحتوي مئة مسألة. اوّلها ما الدليل على انّ للعالم مبدعًا. والمسألة الثانية: هل ايجاد الباري تعالى لخلائقهِ اختيارًا ام اضطرارًا. والقسم الثاني ايضًا فيهِ مئة مسألة للقديس كاساريوس (Césaire) اخي القديس غريغوريوس اللاهوتيّ وهذه المسائل موجودة في اللغة اليونانيّة مع بعض اختلاف (اطلب مجموع مين Migne, PP.GG.XXXVIII, 966-1 ؛ 8) وهي سؤالات روحانيّة نافعة للنفس. وفي هذا القسم قسم ثالث ذو مئة مسألة اخرى كتابيّة اوّلها: ما معنى لفظة انجيل ولماذا سُمّي كتاب مولد يسوع المسيح انجيلًا. والثانية على مَ يدلُّ الانجيل الخ. والقسم الرابع من هذا الكتاب يتضمّن ٦٥ مسألةً في امور دينيّة وخصوصًا في حلّ مشاكل انجيليّة